

نظرات جديدة على تاريخ الطوبونيميا والمسالك للزاب الشرقي (1هـ-9هـ/7م-15م)

-فصول في التواصل والانقطاع-

Nouveaux regards sur l'histoire de la toponymie et les voies du Zab oriental (1 AH-9 AH/7 AD-15 AD)

-Continuité et rupture-

أ. / زياني الصادق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة.

البريد الإلكتروني: profziane@yahoo.com

الملخص:

تندرج الدراسة ضمن بحوث الجغرافية التاريخية، والتي ارتبطت بداياتها بمدرسة الحوليات الفرنسية، سرعان ما تأثر بهذا العلم والتوجه البحثي نخبة من المغاربة، لما له من أهمية قصوى في فك طلاسم الغموض المتعلق بالموقعية، والمجال، والمسالك، والجماعات. وتعالج هذه الورقة البحثية التحولات التي طرأت على أسماء المواقع بالزاب الشرقي خلال الفترة (1-9هـ/7-15م) بفعل تأثيرات التعريب من خلال اختيارنا للنموذجين: تهودة/بادس، وهذا بالبحث في المرجعية أو الأصول التاريخية لأسماء المواقع سواء: (لوبية-فينيقية-لاتينية-إغريقية... الخ)، وكذا تقصي مدلولاتها اللغوية، من خلال ربطها بمصادر التاريخ القديم (الإيبغرافية-الأدبية-المسيحية-الوصفية). وفي الشق الثاني من الدراسة، سنحاول حصر المسالك والطرق الطولية والعرضية التي ربطت بين المدن المشكلة للزاب الشرقي من جهة، ومع باقي المجالات الأخرى من جهة ثانية، انطلاقاً من مقارنتها بالخرائط الأثرية القديمة مع المصادر الوسيطية المتنوعة، لتحديد تواصلها أو انقطاعها.

الكلمات المفتاحية: الزاب الشرقي، الطوبونيميا، المسالك، الخريطة الأثرية، التاريخ القديم، العصر

الوسيط، تهودة، بادس.

Résumé:

L'étude fait partie de la recherche en géographie historique, dont les débuts étaient liés à des annuaires l'École française, cependant, quelques chercheurs maghrébins se sont influencés par cette thématique et son orientation, car elle sert à identifier les localités anciennes, leur territoire, ses voies pénétrantes et ses ethnies. Ce papier traite les différents changements de toponymes, qui a subi l'ensemble des sites du Zab oriental pendant la période médiévale (1-9 H / 7-15 ap.Jc) sous l'effet de l'arabisation de population des deux localités modèles: Tahouda / Bades. Cette lecture se fera en se penchant sur l'origine historique des toponymes: (libyque, phénicienne, Latine, grecque ... etc), et à l'exploration des définitions linguistiques, en utilisant les sources de l'histoire ancienne (épigraphique-littéraire-chrétienne-descriptive). A propos de voies pénétrantes, c'est nécessaire de cerner les voies et les routes qui reliaient jadis entre les villes du Zab oriental avec leur territoire, à partir d'anciennes cartes archéologiques avec plusieurs sources médiévales, pour, ainsi, déterminer sa continuité ou interruption.

Mots clés: Zab oriental, toponymie, voies, carte archéologique, histoire ancienne, période médiévale, Tahouda, Bades.

إن الحركة التي أسهمت فيها أفكار مدرسة الحوليات الفرنسية، بالأخص في الجانب المتعلق بالموقعية، قد أدى إلى توجه الباحثين نحو هذا الميدان البحثي الجديد، من خلال ربط تسمية المعالم الجغرافية خلال العصر الوسيط بوضعياتها خلال الفترات القديمة من التاريخ المغربي. هذا الربط سيؤدي حتما إلى فك الغموض الناتج عن عملية التعريب التي مست مختلف المواقع ببلاد الزاب عموما، وجزئه الشرقي تخصيصا.

وسيكون للجانب اللغوي هو الآخر دور أكيد كأحد المحاور المساعدة لتحديد الدلالات اللغوية للتسمية، وكذا الأصل والمرجعية التاريخية لهذه المعالم الجغرافية أو المواقع. وعليه، سيكون لمختلف المصادر العربية المتوفرة للفترة الوسيطة دور مهم مقترنة بمختلف المصادر القديمة بشتى أنواعها: الأدبية-المسيحية-الإبغرافية... الخ. فانطلاقا من مقارنة المعطيات بين الفترتين، ستسهل على الباحث في ميدان الطوبونيميا كعلم قائم بذاته، من الوصول إلى نتائج أقل ما يقال عنها شبه دقيقة، وقد تكون نهائية في أحيان أخرى.

وانطلاقا من هذا، فالإشكالية الرئيسية للموضوع تتمحور حول التغيرات التي طرأت على المجال الشرقي لبلاد الزاب في جانبي الطوبونيميا والمسالك، من خلال مظاهر التواصل والانقطاع في هذا المجال الجغرافي. ويمكن إدراج جملة من الإشكاليات الفرعية للموضوع، مجملة في الآتي:

- ما هي حدود مجال الزاب الشرقي خلال الفترة المطروقة؟

- وما هي التحولات الطوبونيمية للزاب الشرقي؟

- وكيف كانت صورة التحولات في الخريطة المسلكية للزاب الشرقي بين التواصل والانقطاع؟

لمعالجة هذا الموضوع، كان لزاما علينا الاعتماد بشكل دقيق على مصادر التاريخ المغربي القديم، والتي سيكون لها دور في تحديد مرجعية أسماء المواقع، وأصلها القديم، ومدلولها اللغوي في الكثير من الأحيان، نتحدث هنا عن: نصوص بلين القديم، وبروكوبيوس، وألواح بوتنغر، والمسلك الانطونيني، ورسائل القس أوغسطين، وكتاب الجوهانيد، وغيرها. وبمقارنة المعطيات التي وفرتها لنا هذه المصادر القديمة، مع الدلالات المستخلصة من مصادر الفترة المطروقة (1هـ-9هـ/7م-15م) بشتى أنواعها، سنستطيع باعتماد منهجي المقارنة والمقاربة من جهة، والتحليل والنقد من جهة أخرى، من الوصول إلى نتائج تقريبية للإشكاليات المطروحة في هذا المجال.

والموضوع المطروق، سيحاول الإجابة على التواصلات والإنقطاعات في المسالك والطرق الرئيسية والفرعية، أو الطولية والعرضية خلال المراحل الإسلامية المتقدمة، ثم تتبع هذه التغيرات التي واكبتها

تحولات سياسية، واجتماعية، ومذهبية بمجال الزاب الشرقي، وما كان لها من تأثيرات على خريطة المسالك والطرق. بالإضافة إلى دور هذه المسالك في التواصل الحضاري والتجاري بين الزاب وإفريقية من جهة، والزاب والصحراء الكبرى، وحتى الزاب وحواضر المغرب الأوسط من جهة أخرى.

أولاً- التحولات الطبونيمية بالزاب الشرقي (1هـ-9هـ/7م-15م)-دراسة نماذج:-

1-تهودة:

تميزت تهودة بموقعها الاستراتيجي في العهد الروماني، حيث كانت تتحكم في سهل السعدة الزراعي جنوباً، وسهل شيشة ولوطاية في الشمال الغربي على طريق بسكرة - طنبنة، كما ميزها موقعها على خط الليمس كحصن من الحصون المهمة¹، والتي حمت وحافظت على حدود جنوب الاوراس، النمامشة مع بسكرة وبادس. كما اشتهرت بحصنها المنيع الذي جاء ذكره في فوستيوم باراداز²، كما حاول كومبيزا تحديد أبعاده³، في حين ساهم ياسين رايح حاجي في تحديد مواصفاته وأبعاده⁴.

أ- الشكل التركيبي للطوبونيم في العصر الوسيط:

ورد الشكل التركيبي لاسم الموقع في المصادر العربية ممثلاً في الرباعية: تهوذة - تهودة - تهوذا - تهودا:

تهوذة:

- في روايات أبي العرب⁵.
- في فتوح مصر والمغرب⁶.
- في معجم البلدان بشكله الاثني (القبلي)⁷.

تهودة:

- كتاب الطبقات.
- المراكشي في كتاب الاستبصار⁸.

¹ - غانم، محمد الصغير، 2011م، ج. 4، ص. 508.

² - « Ce Castrum n'aurait pu être dominé par la plate-forme supérieure portant le village actuel de Thouda, et qui le commande, si celle-ci n'avait été, elle aussi, puissamment fortifiée », d'après : BARADEZ, J., 1949, pp. 285, 287.

³ - « Castrum en forme de trapèze mesurant 118 m. sur ses faces parallèles. Les latérales n'ont que 65 m. les quatre angles étaient pourvus de tout carrées », d'après : CAMBUZAT, P.-L., 1986, vol. 2, p. 204.

⁴ - « Les grands côtés nord et sud ont respectivement 115,80 m et 117,80m- les côtés ouest et est, 71m et 73m, tours d'angles comprises (celles-ci ont 6,20m de côté et non 5,50 m comme l'indique Baradez). La tour la mieux conservée est celle du nord-est, les autres sont partiellement rasées », d'après : HADJI, Y.-R., 2006, pp. 330, 331 : Le Plan du fort-castrum.

⁵ - محمد بن احمد بن تميم التميمي ابو العرب، 1984م، ص. 290.

⁶ - عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، 1961م، ج. 1، ص. 267.

⁷ - الحموي، 1977م، مج. 2، ص. 64.

⁸ - مؤلف مجهول المراكشي، 1985م، ص. 174.

- الرواية القيروانية بممثليها الرقيق⁹.

- نصوص رياض النفوس¹⁰.

- الروض المعطار¹¹.

تهودا:

- الكامل في التاريخ¹².

- في مختلف النصوص الجغرافية والرحلاتية: في أحسن التقاسيم، صورة الأرض، ومسالك ابن الوراق والبكري¹³.

تهودا:

- نصوص صاحب البيان المعرب¹⁴.

- تاريخ ابن خلدون¹⁵.

ب- الطوبونيم في مصادر التاريخ القديم:

حتى نتمكن من الوصول إلى كيفية تحول الأصل إلى شكله المعرب، وجب بداية معرفة حضور التسمية في النصوص القديمة، وشكلها التركيبي، حتى يسهل علينا إجراء المقارنة والمقاربة الضرورية في كل حالة، وقد توصلنا إلى الأشكال تركيبية الآتية:

- (Thabudeos)¹⁶.

- (Thabudis)¹⁷.

- (Tabudensis)¹⁸.

- (Tabudensis)¹⁹.

⁹- أبو اسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق القيرواني، 1990م، ص ص. 77، 105. كما ورد الشكل بصورة أخرى (تهوده) ونظنه تحريف غير مقصود، أو راجع للنسخ.

¹⁰- المالكي، 1983م، ج. 1، ص. 43.

¹¹- الحميري، 1984م، ص. 142.

¹²- عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، 1987م، مج. 3، ص. 452.

¹³- المقدسي، 1906م، ص. 218؛ ابن حوقل، 1992م، ص. 87؛ البكري، 2003م، ج. 2، ص. 255.

¹⁴- ابن عذاري، 1983م، ج. 1، ص. 28.

¹⁵- ابن خلدون، 2001م، ج. 7، ص. 13.

¹⁶- DIEHL, C., 1896, p. 245. ; GSELL, S., 1911, Fn° 49, n° 01, 51.

¹⁷- بخوش، زهير، 2016م-2017م، ص. 205.

¹⁸- GSELL, S., 1911, Fn° 49, n° 1.

¹⁹- Ibid.

نلاحظ تطابق التسميات الواردة في كامل النصوص القديمة للطوبونيم مع الشكل التركيبي الوارد في النصوص العربية.

ت- مرجعية ومدلول الطوبونيم:

أ-المطابقة الأولى: يمكن أن يتطابق اسم الموقع تهودة مع مدلوله في البربرية = تابودا. يندرج ضمن التصنيف الطوبونيمي الفيتونيم (Phytonyme) المرتبط باشتقاق أسماء المواقع من أسماء النباتات، كما يورده المعجم الأمازيغي- العربي: تيف - "التَيْفَا"، عشبة تسمى عشبة البرك، وتسمى "البُوط" في مصر = أبودا، تابودا؛ le typhe؛ la massette؛²⁰ le jonc des marais.

ب-المطابقة الثانية: انطلاقاً من التسمية اللاتينية بالشكلين: (Thabudeos) (Tabudium) نرجح أن يكون الاسم المحلي مطابقاً للكلمة تبودة / تبودا (Tabuda)، وهذا اعتماداً على توشار: (Tehouda=Thabouda)²¹. كما يمكن الاعتماد على مطابقة لتسميات تحمل نفس الشكل، على غرار تبودة الواقعة بسبدو- تلمسان، حيث تشير القراءات إلى أن (Tabuda) هي تسمية بربرية دالة على نبات الأسل الغدر أو سمار²².

ت-المطابقة الثالثة: التي توافق التسمية المعربة، الواردة من قبل بيلغرن انطلاقاً من معطيات بروفوتال. قد تكون التسمية المحلية المنتشرة في الجريد ذات الشكل (Tabedit)، والمشتقة من نفس الجذر (Bedd)، والمرتبطة بموضع بجوار مجرى مائي، أو المنبع المائي، والذي يمكن أن يستخرج منه تسميات بنفس الشكل تبودا، مثل (Tebedde) و (Tibedd). أو انطلاقاً من التسمية تبودا (Tabuda) الواردة في صورة الأرض، ضمن صنف الهيدرونيم، والمرتبطة بمورد مائي هو العين: "عين تعرف بتبودا"²³.

ث- المقاربات الانتونيمية للطوبونيم:

نذهب إلى أن اسم الموقع مشتق من اسم قبيلة أو أحد فروعها، ونقصد هنا أوربة، وعليه يدرج ضمن الانتونيم (Ethnonymie)، انطلاقاً من:

- المعطيات الواردة في الرواية الإخبارية لصاحب الكامل المنقولة عن ابن شداد الصنهاجي، الذي أشار إلى وجود قبيلة تحمل اسم تهودة كانت تستوطن الموقع²⁴.

- رواية صاحب معجم البلدان، في قوله: "تهودة: قبيلة من البربر بناحية إفريقية لهم أرض تعرف بهم"²⁵.

²⁰- محمد شفيق، 1996م، ج. 1، ص ص. 195-196.

²¹- TOUCHARD, J-L., 1901, p. 151.

²²- نجراني، فاطمة الزهراء، 2016م-2017م، ص. 46.

²³- ابن حوقل، 1992م، ص. 87.

²⁴- البهجي، إيناس حسني، 2016م، ص. 377 (الهامش).

²⁵- الحموي، 1977م، مج. 2، ص. 64.

- رواية صاحب مراصد الاطلاع، في قوله: "تهودة بالفتح، ثم الضم، وسكون الواو، والدال مهملة: أرض لقبيلة من البربر هم تهودة"²⁶.

- نصوص صاحب العبر، في إشارته إلى بربر تهودا قبلة جبل أوراس²⁷.

2- بادس:

مثلت بادس على عهد الإمبراطور تراجان نقطة دعم وإسناد للحدود العسكرية في الجنوب الأوراسي²⁸. ولا زالت منطقة أثرية بامتياز، نظير بقايا قنوات الري الرومانية التي بقيت معالمها شاهدة على دورها الزراعي خلال فترات طويلة من تلك الحقبة، وكذلك معالم قصر بادس الذي تذكره مصادر التاريخ القديم، والشاهد على الامتداد البيزنطي في الجنوب، أين كانت أحد مراكز مراقبة سهول الجنوب الأوراسي، وحول وادي العرب²⁹.

أ- الشكل التركيبي للطوبونيم في العصر الوسيط:

ورد الشكل التركيبي للموقع بتسميتين متباينتين للموقع: بادس وباديس:

أ-1- بادس:

- في نهاية الأرب³⁰.

- في كتاب المؤنس³¹.

- في عبر ابن خلدون³².

- عند المقدسي³³.

- صورة الأرض³⁴.

- صاحب الاستبصار³⁵.

- نزهة المشتاق³⁶.

²⁶- البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي صفي الدين (739هـ/1339م)، 1992م، مج. 1، ص. 283.

²⁷- ابن خلدون، 2001م، ج. 7، ص. 13.

²⁸- GSELL, S., 1911, Fn° 49, n° 1.

²⁹- عيبش يوسف، 2006م-2007م، ص. 386.

³⁰- النويري، د.ت، ج. 24، ص. 15.

³¹- ابن أبي دينار، 1869م، ص. 29.

³²- ابن خلدون، 2001م، ج. 6، ص. 34.

³³- المقدسي، 1906م، ص. 221.

³⁴- ابن حوقل، 1992م، ص. 67، 87.

³⁵- مؤلف مجهول المراكشي، 1985م، ص. 175.

³⁶- الإدريسي، 2002م، مج. 1، ص. 264.

-تاريخ العدواني³⁷.

أ-2- باديس:

- البكري في المسالك والممالك³⁸.

ب- الطوبونيم في مصادر التاريخ القديم:

- (Ad Badias)³⁹.

- (Badiensis)⁴⁰.

- (Badias)⁴¹.

- (Badiensium)⁴²⁴³.

- (Vadenses)⁴⁴.

ت- مرجعية ومدلول الطوبونيم:

تذهب إحدى الفرضيات إلى الأصل المحلي (الليبي) للتسمية المعربة بادن/باديس، وهذا من خلال مطابقتها بالكلمة البربرية (Ubdis) من الجذر (BDS)، والتي تشير في مدلولها إلى المكان المنبسط، وجمعها (Ibadisen)⁴⁵. هذه المقاربة قد نجد له تفسير في النصوص القديمة، أين يتم ذكر أهمية الموقع من الناحية الفلاحية، وانتشار منشآت الري به، وهو ما يؤكد تواصل هذه الوضعية خلال العصر الوسيط، من خلال ما يورده البكري: "بسائط ومزارع جليلة"⁴⁶، كما اشتهر الحيز التي تشغله بادن بالإنتاج الوافر للشعير: "يزرعون بها الشعير مرتين في العام"⁴⁷. ومن الناحية العسكرية أين اشتهرت بقلعتها البيزنطية، وتواصل توطين الحصون بها خلال الفترة الوسيطة: "وبمدينة بادن حصنان"⁴⁸. وعليه قد أرجح أن يكون أصل التسمية المحلية للموقع يطابق التسمية إيبديس (Ubdis).

³⁷ - الحميري، 1984م، ص. 75. ؛ الحموي، 1977م، مج. 1، ص. 317. ؛ محمد بن محمد بن عمر العدواني، 1996م، ص. 82.

³⁸ - البكري، 2003م، ج. 2، ص. 257.

³⁹ - GSELL, S., 1911, Fn° 49, n° 51.

⁴⁰ - Ibid.

⁴¹ - GSELL, S., 1911, Fn° 49, n° 1.

⁴² - C.I.L. VIII. 2451 = 17954.

⁴³ - GSELL, S., 1911, Fn° 39, n° 71, Fn° 49, n° 51.

⁴⁴ - Ibid., Fn° 49, n° 51.

⁴⁵ - ساعد، خديجة، 2017م، ج. 1، ص. 67.

⁴⁶ - البكري، 2003م، ج. 2، ص. 257.

⁴⁷ - مؤلف مجهول المراكشي، 1985م، ص. 175.

⁴⁸ - الحميري، 1984م، ص. 75.

ث - المقاربات الهومونيمية⁴⁹ للطوبونيم:

يمكن أن تحليلنا مقارنة أخرى إلى تصنيف الطوبونيم بادس ضمن الهومونيم، والتي تخص إسمين لموقعين متطابقين أو أكثر يقعان في رقتين جغرافيتين مختلفتين، أو مجالات جغرافية متعددة، أين نجد له تطابق طوبونومي مع بادس - فاس المغرب الأقصى، وفق ما جاء في النصوص العربية:

- جغرافية الزهري⁵⁰.

- معجم البلدان⁵¹.

- ابن سعيد المغربي في كتابه الجغرافيا⁵².

- نصوص صاحب الأنيس المطرب⁵³.

ثانيا - خريطة المسالك للزاب الشرقي: التوصل - الانقطاع (الخريطة 01)

إن المعطيات التي توصلنا إليها، وهذا من خلال المصادر الوسيطة، لم يتم الإشارة فيها بشكل صريح إلى شق مسالك جديدة ببلاد الزاب تحديداً، والمجال الشرقي منها تخصيصاً، خلال المراحل الإسلامية المتقدمة، وحتى المراحل المتأخرة من الفترة الوسيطة. هذه النتائج التي توصلنا إليها، لا تنطبق بشكل كلي على المجال الزابي في ظل التغيرات المجالية المتتالية التي طرأت على الحدود الجغرافية للزاب، بفضل تشكل مدن جديدة، أو التوجه نحو مسالك ثانوية غير مذكورة في المصادر بفعل التشدد الهلالي، ومحاولات التسلط، والغصب التي مارستها بشكل واضح على الجماعات، والقوافل على السواء على طول المحطات والمسالك. وقد اخترنا نماذج لبعض المسالك الداخلية والخارجية للزاب الشرقي، نلخصها في الآتي:

1- المسلك تهودة - بادس: الذي انفرد بذكره خلال الفترة الإسلامية المتقدمة صاحب نهاية الأرب نقلاً عن ابن شداد الصنهاجي: "وسار حتى انتهى إلى طبنة، وبينها وبين القيروان ثمانية أيام، فأمر أصحابه أن يتقدموا فوجاً بعد فوج إلى إفريقية ثقة منه بما دوح من البلاد، وأنه لم يبق أحد يخشاه، وسار يريد تهودة لينظر إليها وإلى بادس"⁵⁴. كما أوردها صاحب المؤنس: "ووصل مدينة طبنة وكان ملكهم كسيلة فتقدمت جيوش عقبة وبقي نفر يسير من أصحابه إلى أن بلغ تهودة وبادس"⁵⁵.

⁴⁹ - « Homonyme [homonym] Deux ou plusieurs noms de lieux identiques attribués à des entités géographiques différentes. », D'après : Naftali Kadmon, 1997, p. 15.

⁵⁰ - الزهري، د.ت، ص. 113.

⁵¹ - الحموي، 1984م، مج. 1، ص. 317.

⁵² - ابن سعيد المغربي، 1970م، ص. 139.

⁵³ - وردت بالشكل (باديس): ابن أبي زرع، 1843م، ص. 130. وردت بالشكل (بادس). الأنيس المطرب، طبعة الرياط، 1972م، ص ص. 201، 271، 331.

⁵⁴ - النويري، د.ت، ج. 24، ص. 15.

⁵⁵ - ابن أبي دينار، 1869م، ص. 29.

الطريق الذي انفرد بذكره النويري وابن أبي دينار، هو امتداد للمسلك الروماني القديم، الذي مبتدئه طنبه، وقد اتفق معهما الكثير من المصدرين في وجود الشق الأول من هذا الطريق فقط، ونقصد طنبه-تهودة، فيمتد على طول 26 كم في اتجاه وادي القنطرة، أين يلتقي مع سهل الضاية (Daya) بواسطة طوق ثنية الوسطى⁵⁶، ثم يتصل المسلك مع نقطة تقاطع لطريق فرعي ثان عند سبع مقاطع، ويتصل في فرعه الأيسر بموقع لوطاية (Mesarfelta)⁵⁷، بعدها سيقطع المسلك وادي لفقة عابرا أرضا طويلة ما بين وادي بسكرة ووادي البساس، لكن قبل هذا هناك مسلك اجتبابي يتجه إلى بسكرة⁵⁸.

وبالمقابل، سيتواصل ليقطع نقاط أخرى حتى يتصل بتهودة⁵⁹. تتوقف جل الروايات الوسيطة عن ذكر باقي المسلك، وينفرد بذكره النويري وابن أبي دينار، هذا المقطع من تهودة (Thabudeos) إلى بادس/باديس (Badias)⁶⁰، والمتبقي من المسلك الإجمالي (طنبه-بادس)، هو تواصل للمسلك الروماني الذي ورد في ألواح بوتينغر بطول 23 ميل⁶¹، وقد حدد قزال مسافة المقطع بحوالي 70 كم⁶².

2-المسلك بسكرة - بادس: وجاء ذكره في روايات القرن 4هـ/10م، على غرار كتاب صورة الأرض، المسلك طوله مرحلتان، مشكل من ثلاث مدن رئيسية تقع إلى اليسار من جبل أرواس على الطريق من المسيلة إلى إفريقية، ويورده في قوله: "من بسكرة إلى تهودا مرحلة، ومنها إلى بادس مرحلة"⁶³. رواية ابن حوقل حول هذا الطريق، نجدها مكتملة في نص الجغرافي محمد بن يوسف الوراق (363هـ/974م) المنسوخ والمنقول في مسالك البكري، في قوله: "...إلى مدينة بسكرة...ومنها إلى مدينة تهودا، وتعرف بمدينة السحر، ... ومنها إلى مدينة باديس مرحلة"⁶⁴.

وانطلاقا من الشواهد التي عثر عليها في الموقع الأثري شتمة⁶⁵ الواقعة على بعد 8 كم شرق بسكرة⁶⁶، ارتباط بسكرة بطريق مع تهودة⁶⁷ من خلال الشواهد الميالية المستخدمة في البناء التي يعود تاريخها إلى القرن الثالث الميلادي على الأرجح، والتي قد يكون أصلها من المسلك بسكرة - تهودة⁶⁸.

⁵⁶ - GRANGE, R., 1901, p. 55. ; GSELL, S., 1911, Fn° 37, n° 10, n° 57.

⁵⁷ - ALBERTINI, E., 1931, p. 267. ; BARADEZ, J., 1949, pp. 148, 258.

⁵⁸ - BARADEZ, J., 1949, p. 324. ; SALAMA, P., 1951, Cartes.

⁵⁹ - BARADEZ, J., 1949, p. 324.

⁶⁰ - FENTRESS, E., 1995, p. 526.

⁶¹ - http://www.hsaugsburg.de/~harsch/Chronologia/Lspost03/Tabula/tab_pe05.html Tabula Peutingeriana, V:

⁶² - GSELL, S., 1911, Fn° 49, n° 01, n° 51.

⁶³ - ابن حوقل، 1992م، ص ص. 67، 87.

⁶⁴ - البكري، 2003م، ج. 2، ص ص. 255-257.

⁶⁵ - GSELL, S., 1911, Fn° 48, n° 13.

⁶⁶ - محمد الصغير غانم، د.ت، ج. 1، ص. 34.

⁶⁷ - GSELL, S., 1911, Fn° 49, n° 01.

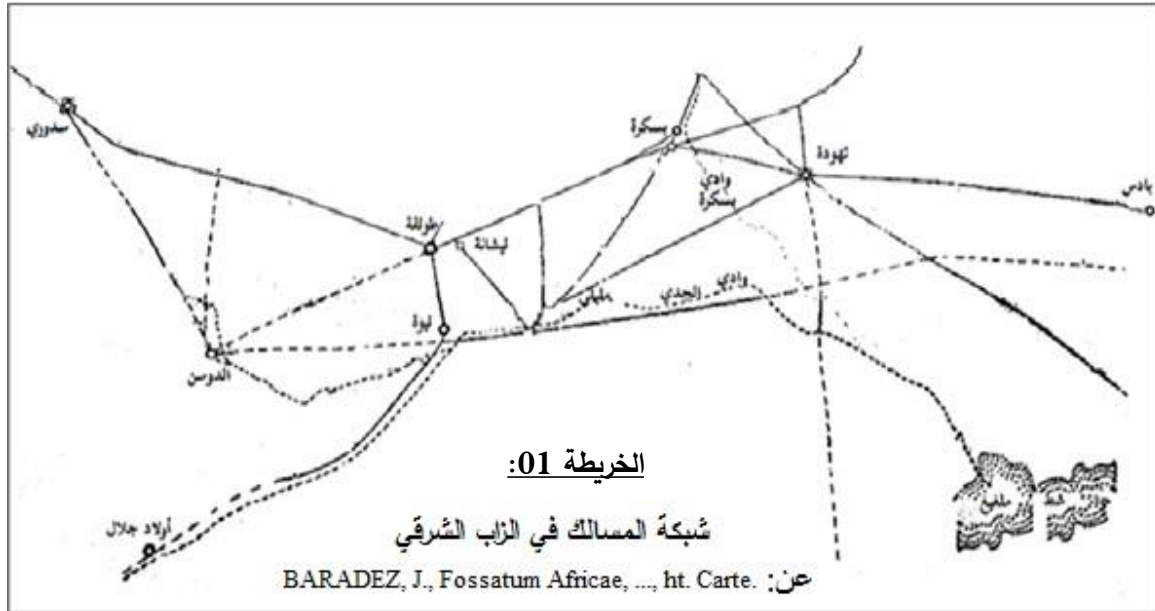
⁶⁸ - GSELL, S., 1911, Fn° 48, n° 12, 13.

وجاء ذكرها في ألواح بوتينغر على الشكل الآتي⁶⁹:

Ad Piscinam - XXXIII (34) - Gemellae - XXIII (24) - Thabudeos - XXIII (23) - Badensis.

تهودة-بادس: جاء ذكره في ألواح بوتينغر⁷⁰، كما أشار تروسي إلى وجود مسلك التخوم النوميديّة تادارت - تهودة [(Ad Medias)-(Thabudeos)]، ويقع على طوله الموقع (Badias)، والذي يقابل بحسبه واحة الزاب الشرقية بادن التي تقع عند مصب وادي العرب على السفح الصحراوي للأوراس⁷¹، وهما مركزان مهمان للتحصينات المعدة لصد هجمات المور على التخوم الأوراسية⁷².

المسلك هو جزء من الطريق الذي تم شقه على عهد الإمبراطور الانطونيّني ترايانوس⁷³، فبعد ضغط القبائل الجنوبية فيما وراء مرتفعات أرواس، تم تمديد المسلك الاستراتيجي غربا إلى موقع تهودة (Thabudeos)، وربطه بالطريق الطولي لمبيز عبر خنقة القنطرة⁷⁴.



⁶⁹ - Tabula Peutingeriana, IV, V.

⁷⁰ - Tabula Peutingeriana, IV, 1-5.

⁷¹ - TROUSSET, P., 1991, p. 1299.

⁷² - Ibid, p. 1300.

⁷³ - SALAMA, P., 1951, p. 26.

⁷⁴ - شنيّتي، محمد البشير، 2003م، ص. 121.

ومن الشواهد على حضور المسلك خلال الفترة الرومانية النصيبين الميلييين الذين تم العثور عليهما ما بين تهودة وسيدي عقبة⁷⁵، على طول حوالي 70 كم، ويتوسط بينها الكثير من الهناشير⁷⁶.

وتكمن أهمية المسلك خلال الفترة الوسيطية، بداية من مرحلة الفتح الإسلامي الأولى في روايتي النويري⁷⁷ وابن أبي دينار⁷⁸، كجدار حاجز لمدن الجنوب الأوراسي ما بين وادي العرب وسهول الصحراء، كما كان المسلك خلال القرن 4هـ/10م منطلقا لحركة صاحب الحمار مخلد بن كيداد نتيجة تغلغل الفكر الإباضي في نفوس الجماعات المستقرة على طول مجالاته، وتخصيصا مدينة بادس⁷⁹.

3-المسلك زريبة الوادي- بسكرة: من خلال معطيات الرحلة العياشية لعبد الله بن محمد العياشي، المتعلقة بالمسلك زريبة الوادي-بسكرة، والتي نجد لها حضور في الرحلة الحجازية لليوسي، أين يتحدث على خط سير وهو مسلك مقلوب عما جاء به العياشي في رحلته يمر بالمجالات الجنوبية للحضنة، مجالات أولاد نايل، والأغواط، قبل أن يتصل بالزاب، فبعد وصوله مدينة النخيل بسكرة في السادس والعشرين من رجب⁸⁰، كان خط سيره باتجاه سيدي عقبة (تهودة)، ثم إلى الزرائب: زريبة الوادي، وزريبة حامد⁸¹.

ومن المرجح أن المسلك من زريبة الوادي، يقع في خط الليمس الذي مركزه بادس (Limes Badiensis)⁸²، والذي كانت مهمته حماية وسد كل الطرق الجنوبية غير المرئية في اتجاه خنشلة والناماشة الغربية-الأوراس⁸³، ويمتد شرقا حتى وادي بودكران وتادرت. من زريبة الوادي يتصل المسلك بتهودة.

الخاتمة:

من خلال ما أوضحناه سلفا، نصل إلى نتائج الدراسة التي نلخصها في الآتي:
-تأثير التعريب في تحول أسماء المواقع بالزاب الشرقي إلى شكلها التركيب في الفترة الوسيطية، مع التأكيد على صعوبة تحديد مرجعية التسمية وأصلها في ظل قلة معرفتنا بالماضي البعيد للمنطقة.
-تواصل الطوبينيمات القديمة خلال الفترة الوسيطة للزاب الشرقي.

⁷⁵ - C.I.L. 22346, 22347.

⁷⁶ - GSELL, S., 1911, Fn° 49, n° 01.

⁷⁷ - النويري، د.ت، ج. 24، ص. 15.

⁷⁸ - ابن أبي دينار، 1869م، ص. 29.

⁷⁹ - حساني، مختار، 2011م، ج. 5، ص ص. 48-49.

⁸⁰ - اليوسي، رقم 3128 ورقم 5.

⁸¹ - نفسه، ص. 6.

⁸² - TORCY, De, 1910, p. 23.

⁸³ - BARADEZ, J., 1949, pp.146-147 ; GSELL, S., 1911, Fn° 49.

-تراجع هذه الطوبونيمات في الفترة الإسلامية المتأخرة كما دلت على ذلك مصادر تلك الفترة لصالح تسميات جديدة ذات طابع صوفي (الهجينيوم)، أو تلاشي وانقطاع البعض الآخر على غرار بادس.

-تواصل المسالك التي ربطت مدن الزاب الشرقي، والتي من المرجح أنها ترجع للعهد الروماني.

-ارتباط شبكة مسالك خارجية بين المدن المشكلة للزاب الشرقي مع باقي مدن وأرياف بلاد الزاب، وحتى مع إفريقية (تونس)، والمغرب الأوسط (الجزائر)، وهي تعبر عن طرق رئيسية وفرعية متواصلة منذ العهد الروماني.

إن البحث في مجال الجغرافية التاريخية يحتاج إلى تضافر الكثير من جهود الباحثين، والاشتراك في أبحاث معمقة ومكملة للوصول إلى نتائج أكثر دقة، وهو ما ننصح به في توصياتنا في نهاية هذه الدراسة.

قائمة السيليوغرافيا:

1. ابن أبي دينار، 1869م، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس.
2. ابن أبي زرع، 1843م، الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تصحيح وترجمة: كارل يوجن تورنبورغ، دار الطباعة المدرسية، أوسبالة، 1259هـ.
3. ابن حوقل، 1992م، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
4. ابن خلدون، 2001م، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن والحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج. 7، 1431هـ.
5. ابن سعيد المغربي، 1970م، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت.
6. ابن عذاري، 1983م، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1403هـ، ج. 1.
7. أبو اسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق القيرواني، 1990م، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: عبد الله العلي زيدان وعز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
8. الإدريسي، 2002م، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق أو كتاب روجر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مج. 1.
9. البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي صفي الدين (739هـ/1339م)، 1992م، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، مج. 1، 1412هـ.
10. البكري، 2003م، المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج. 2.

11. البهجي، إيناس حسني، 2016م، تاريخ الدولة الأموية، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن.
12. الحموي، 1977م، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، مج. 2.
13. الحميري، 1984م، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.
14. الزهري، د.ت، كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
15. المالكي، 1983م، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير البكوش، مراجعة: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج. 1، 1403هـ.
16. المقدسي، 1906م، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن.
17. النويري، د.ت، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، منشورات محمد علي ببيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ج. 24.
18. اليوسي، مخطوط رحلة اليوسي (الرحلة الحجازية)، مركز ودود للمخطوطات، رقم 3128 ورقم 5.
19. بخوش، زهير، 2016م-2017م، "التركيبة البشرية لمجتمع الريف الأوراسي أثناء الاحتلال الروماني"، أطروحة دكتوراه علوم في الآثار القديمة غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2.
20. حساني، مختار، 2011م، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج. 5.
21. ساعد، خديجة، 2017م، الطبونيميا الأمازيغية (أسماء وأماكن من الأوراس)، دار النشر آنزار، بسكرة، ج. 1.
22. شنييتي، محمد البشير، 2003م، أضواء على تاريخ الجزائر القديم-بحوث ودراسات، دار الحكمة، الجزائر.
23. عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، 1961م، فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ج. 1.
24. عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، 1987م، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، مج. 3.
25. عيش، يوسف، 2006م-2007م، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب، أثناء الاحتلال البيزنطي، أطروحة دكتوراه دولة في آثار وتاريخ المغرب القديم غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة.
26. غانم، محمد الصغير، 2011م، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج. 4.

27. محمد بن احمد بن تميم التميمي ابو العرب، 1984م، كتاب المحن، تحقيق: عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، الرياض.
28. محمد بن محمد بن عمر العدوان، تاريخ العدوان، تقديم وتحقيق وتعليق: ابو القاسم سعد الله، الجزائر، 1996م.
29. محمد شفيق، 1996م، المعجم العربي الأمازيغي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ج. 1، 1416هـ.
30. مؤلف مجهول المراكشي، 1985م، الاستبصار في عجائب الأمصار "وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب"، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء-الرباط.
31. نجرابي، فاطمة الزهراء، 2016م-2017م، "الدراسة الإيتيمولوجية لأسماء الأماكن المأهولة-مقاربة لغوية تطويرية منطقة تلمسان أنموذجا"، أطروحة دكتوراه علوم غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة تلمسان.
32. ALBERTINI, E., 1931, «Le réseau routier de la Numidie méridionale», in CRAI, pp. 363-370.
33. BARADEZ, J., 1949, Fossatum Africae, Recherches aériennes sur l'organisation des confins sahariens à l'époque romaine, Paris.
34. C.I.L. 22346, 22347.
35. C.I.L. VIII. 2451 = 17954.
36. CAMBUZAT, P.-L., 1986, L'évolution des cités du Tell en Ifrikiya du VII^e au XI^e siècle, O.P.U, Algérie, vol. 2.
37. DIEHL, C., 1896, L'Afrique Byzantine (histoire de la domination Byzantine en Afrique 533-709), Ernest Leraux, éditeur, Paris.
38. FENTRESS, E., 1995, «Map 34 Numidia », pp. 520-528.
39. GRANGE, R., 1901, « Monographie de Tobna (Thubunae) », in RSAC, 35, pp. 03-96.
40. GSELL, S., 1911, Atlas archéologique de l'Algérie, textes – cartes, Alger, Fn^{os} 48, 49.
41. HADJI, Y.-R., 2006, « Thouda, aperçu archéologique », in Revue Aoures, Société d'étude et de recherches sur l'Aurès antique, 3, pp. 323-339.
42. Naftali Kadmon, 1997, « Glossaire de la Terminologie Toponymique », in la Commission de toponymie de l'Institut Géographique National de France et par la Commission de toponymie du Québec, Paris et Québec, Décembre.
<http://www.toponymiefrancophone.org/DivFranco/pdf/kadmon.pdf?ts=0.4720767482839332>
43. SALAMA, P., 1951, Les voies romaines de l'Afrique du nord, Alger, Cartes.
44. Tabula Peutingeriana, IV, 1-5.
45. Tabula Peutingeriana, V:
http://www.hsaugsburg.de/~harsch/Chronologia/Lspost03/Tabula/tab_pe05.html
46. Tabula Peutingeriana, IV, V.
47. TORCY, De, 1910, « Note sur la route de Tébessa à Biskra par Négrine », in RSAC, XLIV, pp. 01-27.
48. TOUCHARD, J.-L., 1901, « Note sur les fouilles faites à Tehouda », in RSAC, 35, pp. 151-155.
49. TROUSSET, P., 1991, « Badias », in Encyclopédie berbère, Aix-en-Provence, 9, pp. 1299-1302.